

تجليات المعاناة في شعر خليل زقطان

Revelations of Suffering in Kalil Zaktans's Poetry

عماد الضمور

Emad Al- dhmour

قسم العلوم الأساسية، كلية عمان الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن

بريد الكتروني: emeddmor@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠١٣/٥/٧)، تاريخ القبول: (٢٠١٣/٩/٥)

ملخص

يعدّ الشاعر الفلسطيني خليل زقطان من الشعراء الذين أنجبتهم نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، وعاشوا معاناة التشردّ في خيام اللاجئين، ممّا ترك أثراً في شعره الذي يمثل صرخة قوية في وجه الظلم، ويعكس دعوة صريحة إلى الثورة على العدو. تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر المعاناة في شعر خليل زقطان، إذ تجلّت في صور مختلفة، هي: اللاجئ، والخيمة، والحزن، فضلاً عن الثورة التي شكّلت محوراً واضحاً في شعره. لقد خلصت الدراسة إلى تصوير الشاعر حياة اللاجئين الفلسطينيين اليومية، ونقل معاناتهم، وأحزانهم الدفينة، ورغبتهم الجامحة في الثورة، واستعادة الوطن المغتصب.

Abstract

Kalil Zaktan is a Palestinian and one of the poets, who born to the plight of Palestine in 1948, and lived displacements in refugee camps. This left a strong impact on Zaktan's poets, which represents a strong cry in the face of injustice, and an explicit call to revolt against the occupier. This study aims to demonstrate the impact of suffering in the poetry of Khalil Zktan which is obvious through various faces such as: a refugee tent, grief, and revolution. The study succeeded in portraying the daily life of refugees, expressing their suffering and sorrows, and their desire of the revolution in order to restore their occupied homeland.

## المقدمة

يعكس الشعر الفلسطيني في العصر الحديث قيمة فكرية، وفنية واضحة؛ لأنه يعبر عن تجربة نفسية صادقة، مما منحه طابعاً خاصاً، فهو وليد المعاناة، ونتاج الألم الدفين في الصدور، إذ وضعته ظروف الاحتلال الصهيوني، والأطماع الاستعمارية في مواجهة أسئلة الهزيمة، وتحدياتها المريرة.

لقد أفرزت نكبة فلسطين عام (١٩٤٨م) جيلاً من الشعراء الفلسطينيين الغاضبين الذين وجدوا في سلاح المقاومة بديلاً للعجز العربي، كما في شعر عبدالكريم الكرمي (أبو سلمى)، وراشد حسين، ويوسف الخطيب، ومعين بسيسو، وهارون هاشم رشيد، وكمال ناصر، وخليل زقطان، ومحمود درويش، وغيرهم من الشعراء الفلسطينيين الذين عبّروا عن معاناة شعبهم. إن أثر نكبة فلسطين واضح في الشعر العربي المعاصر، وبخاصة الشعر الفلسطيني، إذ أغنت مأساة فلسطين العنصر العاطفي في الشعر "فانطلقت قصائد النكبة مغمّسة بالألم، والدموع، تصور يؤس المنكوبين، وشقاءهم، وضياعهم، وتقف أمام خيام اللاجئين؛ لتقص قصة العربي النائه"<sup>(١)</sup>.

لذلك فإن الخطابية، والانفعالية، والواقعية، فضلاً عن المباشرة، هي أهم سمات الشعر الذي أفرزته النكبة؛ لمناسبة هذه السمات للدق الثوري، ورصدها لحالة الصدمة، والذهول التي أصابت الوجدان العربي نتيجة لقسوة النكبة، والآثار المادية، والمعنوية المترتبة عليها، مما جعل انتقاد هذا الشعر لكثير من الصور، والأخيلة واضحة، إذ استعاض الشعراء عنها بحرارة العاطفة، وصدق التجربة؛ لتكتسب القصيدة بذلك حيويتها<sup>(٢)</sup>.

لعلّ تصوير المعاناة بكافة جوانبها من الموضوعات الشعرية الجديدة التي أفرزتها النكبة، فنجد الحديث عن "مشاعر الغربة، واللجوء، والتشرّد، والفقر، والجوع، والألم، والعذاب، والغثبان، واليأس، والضجر، والفراق، واللوعة، والحنين، والمناجاة، والوحدة، والحزن، والأسى، والشوق، واللهفة، والانتظار، وغيرها من المشاعر التي كان يتحسسها الشاعر الفلسطيني بعد خروجه من وطنه"<sup>(٣)</sup>.

إنّ تشابه مضامين قصائد الشعراء الفلسطينيين بعد النكبة يبدو واضحاً؛ لغلبة الطابع الجماعي على هذه المعاناة، بعدما أصبح الوطن "جزءاً من عذاب الشاعر، ونفيه، يتلبّس لبوسه، ويتشكّل بتشكّله في النفس، كقدر لا فكاك منه، وهنا يكون الوطن هو الآخر منفياً، يُفاسي من مواجد الشاعر، ويُنميها"<sup>(٤)</sup>.

يعدّ الشاعر خليل زقطان أحد الشعراء الذين عاشوا معاناة النكبة في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، ولد عام (١٩٢٨م) في قرية زكريا (قضاء الخليل)، عانى تجربة اليتيم منذ الصغر،

(١) الأشرت، ١٩٦١م، ص ١٥.

(٢) يُنظر: أبو أصبع، ٢٠٠٩م، ص ٤٤٨.

(٣) أبو شاور، ٢٠٠٣م، ص ١٦٤.

(٤) مصطفى، ١٩٧٨م، ص ١٢١.

إذ اكتملت معاناته بحدوث نكبة فلسطين عام (١٩٤٨م)، فنزح إلى الأردن، حيث استقرّ في مخيم الكرامة حتى عام (١٩٦٧م)، عمل في مجال التدريس حتى وفاته في مدينة عمّان عام (١٩٨٠م)<sup>(١)</sup>. وصف ناصر الدين الأسد خليل زقطان بأنه "شاعر فلسطيني لاجئ، يُعبّر عمّا يضطرم في نفوس إخوانه اللاجئين في مخيمات البؤس، ومواطن الحرمان التي أرادها لنا المستعمر"<sup>(٢)</sup>. أمّا ديوان (صوت الجياح) الذي أصدره خليل زقطان عام (١٩٥٣م) - وهو نفس العام الذي أصدر فيه عبدالكريم الكرمي ديوان (المشرد) - فهو من أولى المجموعات الشعرية التي صدرت بعد النكبة، ممّا منحه ميزة خاصة، جعلته حنجره مستعرة بالثورة، فضلاً عن كونه انعكاساً واضحاً للألم الذي نتج عن احتلال فلسطين، وتشريد أهلها، ممّا مهّد الطريق لأصوات شعرية أخرى أن تطلق صرخاتها، وتدعو إلى الثورة، واسترداد الوطن السليب.

وفي عام (١٩٩٥م) قام زياد أبو لين بجمع، وتحقيق الأعمال الشعرية غير المنشورة للشاعر خليل زقطان، وهي لا تخرج في إطارها العام عن ديوان (صوت الجياح) في رصدها لمأسوية الواقع، وبيان حالة الضياع، والخذلان التي خلقتها النكبة في نفوس الفلسطينيين.

وقد أتت الدراسة على المنهج الاجتماعي الذي يميل إلى الواقعية في تصوير الأحداث، وبيان أبعادها الإنسانية، وضرورة التحرر من قيودها؛ إذ يجعل هذا المنهج من الأدب ظاهرة اجتماعية، تتأثر بالمجتمع، وتؤثر فيه، ممّا يبرز دور الأديب الملتزم بقضايا أمته، والدفاع عنها.

إنّ الشعر الذي أفرزته نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، وجد صدى واسعاً في كثير من الدراسات النقدية التي تناولت هذا الشعر بالدراسة، والتحليل من الناحيتين: الموضوعية، والفنية. ولعلّ أهم هذه الدراسات: دراسة حسني محمود، شعر المقاومة الفلسطينية (دوره، وواقعه في عهد الانتداب في الأرض المحتلة من ١٩٤٨م - ١٩٦٧م)، ودراسة صالح الأشتر (في شعر النكبة)، ودراسة عبدالرحمن الكيالي (الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين)، وغيرها من الدراسات المختصة بأدب النكبة.

أمّا الشاعر خليل زقطان، فلم يحظ شعره بدراسة مستقلة، بل كلّ ما نجده هو التمهيد الذي أفرده زياد أبو لين للأعمال الشعرية غير المنشورة التي جمعها، وحققها للشاعر، إذ أوجز فيه الحديث عن حياة خليل زقطان، وتأثر شعره بتشرده عن الوطن. فضلاً عن الإشارات المتفرقة التي جاءت في الدراسات التي تناولت الشعر الفلسطيني الحديث، ومعاناة اللاجئين الفلسطينيين التي صورها هذا الشعر، كما في دراسة محمد شحادة عليان الموسومة بـ (الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث)، ودراسة ناصر الدين الأسد الموسومة بـ (الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن)، ودراسة عبدالرحمن الكيالي الموسومة بـ (الشعر الفلسطيني في نكبة

(١) يُنظر: الأسد، ١٩٥٧م، ص ١٣٠. يُنظر: السوافيري، ١٩٧٣م، ص ٢٣٨ وما بعدها) و(يُنظر: صدوق، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٤) و(يُنظر: الكيالي، ١٩٧٥م، ص ٢٣٥ وما بعدها) و(يُنظر: عليان، ١٩٨٧م، ص ١٠٠ وما بعدها) و(يُنظر الخليلي، ٢٠٠٢م، ص ١١) و(يُنظر خليل، وآخرون، ٢٠٠١م، ص ٥٧) و(يُنظر أبو لين، ١٩٩٥م، ص ٥ - ١٢).

(٢) الأسد، ١٩٥٧م، ص ١٣٠.

فلسطين)، ودراسة كامل السوافيري الموسومة بـ (الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة ١٩١٧ إلى ١٩٥٥م).

وهي إشارات لا تكوّن في مجملها صورة كافية عن شعر خليل زقطان، بل تناولت جزئيات من حياته، وتصويره لمعاناة اللاجئين الفلسطينيين في أسطر لا تتجاوز الصفحة الواحدة، فضلاً عن علو صوته الداعي إلى الكفاح ضد المحتل، ممّا يبرز أهمية هذه الدراسة في الكشف عن تجليات المعاناة في شعر خليل زقطان، وبيان أبعادها الإنسانية المختلفة.

### أثر المعاناة في شعر خليل زقطان

جاء عنوان ديوان الشاعر (صوت الجياح) دالاً على حجم المعاناة، إذ يمتلك هذا العنوان طاقة دلالية، تبوح بمخزون عاطفي عميق، ومعاناة قابضة في وجدان جمعي، بين جوعاً، ورغبة في الحرية، ممّا جعل من العنوان نصاً موازياً، يمتدّ، وينتشر في قصائد الديوان؛ لينتج منها "بنية شاملة، يجمعها المجال الخطابي للنص، ففي الوقت الذي يتخذ فيه العنوان موقع الموضوع الكلي، يتقدّم النص؛ ليؤكد هذه الكلية من خلال احتوائه أشلاء الموضوع، وجزئياته"<sup>(١)</sup>.

فالشاعر يستوحي مضامين قصائده من وحي المعاناة الفلسطينية، ممّا جعل الإبداع الشعري صدى وجدانياً عميقاً لهذه المعاناة، وهذا ما صرح به الشاعر في إهداء ديوانه الذي جعله موجهاً لأبناء شعبه، حيث يقول<sup>(٢)</sup>:

إلى الملايين المكافحة في سبيل الخبز!

إلى الملايين الثائرة على الطغيان!

إلى المؤمنين بحقهم في الحياة!

إلى الملايين المشردة في أنحاء الأرض!

إلى مَنْ أوحوا إليّ بهذا القصيد.

أهدي ديواني:

صوت الجياح

لذلك فإنّ التجربة الشعريّة ذات صلة وثيقة بعملية الخلق الشعري، إذ ينبع الشعر في الأساس "من جبريّة غامضة، تكمن في اللاوعي، ومن تنظيم صناعي تام الوعي، فهو عملية تختلط فيها الحياة باللغة، ويتزاوج فيها المعنى، والمبنى، ويلعب فيها كلّ من التنقيح، والطبع دورهما"<sup>(٣)</sup>.

(١) حسين، ٢٠٠٧م، ص ٢٠٠.

(٢) زقطان، ١٩٥٣م، ص ٥.

(٣) درو، ١٩٦١م، ص ٢٥.

إنّ معايشة خليل زقطان لمعاناة التشرد، وما رافقه من بؤس، وحرمان معايشة واقعية، منح شعره حرارة في العاطفة، وجعله أكثر استجابة لنقل معاناة الآخرين. وفي الحقيقة - كما يقول أرسطو - فإنّ " أقدر الناس تعبيراً عن الشقاء، مَنْ كان الشقاء في نفسه"<sup>(١)</sup>.

لقد شكّلت المعاناة أحد المثيرات المهمة التي ألهمت الشاعر لنظم الشعر، إذ إنّ "الفنان، ينفعل إزاء بعض الأحداث، أو التجارب التي تثيره، وتوتره، فيكون هذا التوتر، أو الانفعال هو الحافز لإبداعه"<sup>(٢)</sup>.

لذلك فإنّ المتلقين، وجدوا في هذا مثل هذا الشعر ما "يُخفف عن النفوس مرارة الهزيمة، ويخاطب الجماهير، وينير عقولها، ويلبي حاجاتها، ورغباتها في الكلمة الصادقة المتدفقة بالعاطفة، ورفض الهزيمة، والداعية إلى الصبر، والصمود"<sup>(٣)</sup>.

وقد تجلّت المعاناة في شعر خليل زقطان من خلال الصور التالية:

### ١. اللاجئ:

وهي تسمية أوجدتها نكبة فلسطين عام (١٩٤٨م)، التي ترتب عليها نزوح مئات آلاف الفلسطينيين إلى عدد من الدول العربية، إذ قامت وكالة الغوث الدولية بإسكانهم في خيام، ما لبثت أن تحولت إلى أكواخ، ممّا أورثهم شعوراً مريراً بالألم، والمعاناة، والحنين إلى الوطن. يرى كامل السوافيري أن صورة اللاجئ الفلسطيني، والامهم المادية، والمعنوية من أهم محاور الشعر الفلسطيني في المرحلة الممتدة ما بين عامي (١٩٤٨م - ١٩٦٠م)<sup>(٤)</sup>، ممّا أسهم في إثراء وجدان الشعراء، وألهم عواطفهم بشكل واضح.

لقد عبّر الشعر الفلسطيني عن تساؤلات كثيرة تدور في رأس اللاجئ، ترسخ حق العودة، وتستنير الهمم، وتصرّ على المقاومة وسيلة لاستعادة الوطن، وهذا جعل "المكان، والزمان تأثيره في حياة اللاجئ الفلسطيني، فقد أفقده الحبّ، والطمأنينة، وأورثاه الحزن، والكآبة، والرعب، والموت، والكراهية"<sup>(٥)</sup>.

ولعلّ تجربة التشرد التي يعيشها الشعب الفلسطيني، تعدّ من أقسى التجارب البشرية المعاصرة، لما تركته من أبعاد نفسية، وإنسانية، أورثت الأجيال المتعاقبة مرارة، وألماً مضاعفاً، لا يخفف منها إلا استعادة الوطن، كما في قول خليل زقطان<sup>(٦)</sup>:

أنا ليس لي وطنٌ ودارٌ طفولتي  
لم يبق منها الغاصبون معالمًا

(١) طاليس، ١٩٥٣م، ص ٤٨.

(٢) المجالي، ٢٠٠٨م، ص ٢٩.

(٣) عطوات، ١٩٩٨م، ص ٦٨٥.

(٤) يُنظر: السوافيري، ١٩٧٣م، ص ١٤٢.

(٥) التميمي، ٢٠٠١م، ص ٢٩.

(٦) زقطان، ١٩٩٥م، ص ١٤.

أنا يا ابنَ شعبي قوةً عملاقةً ومحارُ فلسفتي سابقى ناقما  
حتى تردّ لنا شظايا أرضينا ونعيشُ في تلكَ الربوع أودما

وفي قصيدة (قسماً بجوع اللاجئين) التي اكتسبت شهرة شعبية واسعة؛ لمضمونها الإنساني المعبر عن معاناة اللاجئين، جاء قسّم الشاعر بجوع اللاجئين منحازاً لهذه المعاناة، وتداعياتها النفسية، حيث يقول<sup>(١)</sup>:

أنا قد صحت على الجراح تسيل من بعضي لبعضي  
أنا قد صحت وإذ أنا ملقى بأرض غير أرضي  
أنا قد صحت على العروبة تُزدرى جهراً وتغضي  
أنا قد نظرت المستجير وإذ به يا قوم عرضي

وما صوت الأنا المتفجرة في النص إلا تعبير صادق عن صوت اللاجئين، وتأكيد لرغبة راسخة في نفس الشاعر بالبقاء، ومواجهة الواقع المرير، إذ ينفذ الشاعر من خلال صوته المكثوم إلى نقد الأمة المتخاذلة التي أسهمت في إيجاد هذا الواقع، ومضاعفة آلام الفلسطينيين، وبلوغها حدّاً لا يُطاق من اليأس، والشقاء.

يكشف خليل زقطان في شعره عن طبيعة حياة اللاجئين التي ترسم فيها قصة الوطن، ومأساة أهله، فيقول معرّفاً ببطاقة الشعب الفلسطيني في قصيدة صوت النفير<sup>(٢)</sup>:

نحن منّ نحن في الخيام جياح خبزنا السم من أكف الأعداي  
نحن منّ نحن في الحياة شواظ وسعير مغلف بالرماد  
نحن أهل التاريخ نؤمن بالبعث ولا نستكين للاضطهاد

إذ تتضاءل المعاناة أمام صمود اللاجئين، وتاريخهم البطولي، وهذا ما جعل منها عاملاً محفزاً على الثورة، وممارسة فعل التحرير.

ولا ينسى الشاعر أن يُبرز الظلم - بكافة أشكاله - الذي لحق باللاجئين، ممّا أنزلهم منزلة العبيد المضطهدين، فمهما تعددت المسميات لهم، تبقى المعاناة حاضرة، والأمل بالانتصار راسخاً في الصدور، كما في قصيدة (حالي) مخاطباً إحدى الفلسطينيات<sup>(٣)</sup>:

سموك "لاجئة" كما قد لقبوني بالشريد  
هم يطلقون غرائب الألقاب في دنيا العبيد

(١) زقطان، ١٩٥٣م، ص ١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣.

وأنا وأنت من الضحايا الثائرين على القيود

فتذكري ما يصنعون فليس يومك بالبعيد

فالألفاظ في النص، تتحرك بحركة النفس الشعرية المتقدة التي جعلت الشاعر يصطنع لنفسه لغة خاصة، تصور غربته، ومعاناته.

ولعلّ هذه الحركية التي أبرزها الخطاب الشعري، تتجاوز المعاناة الفردية، لتصدر في مجموعها عن شعور جمعي، يعانق واقعاً إنسانياً يعبر عن معاناة المضطهدين، وتطلعاتهم المستقبلية لاسترجاع الحقوق، والعيش بكرامة.

إذ تتبع المعاناة الفلسطينية نتيجة لفقدان الصوت العربي قدرته على المطالبة بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، في الوقت الذي يعلو فيه صوت الغرب السالب لهذه الحقوق، ممّا عمّق من آلام المشردين، وجراحهم النازفة.

ويقوم الشاعر في هذه المرحلة بدوره البطولي، الذي يكشف مخططات العدو، وما يحيكه من مؤامرات ضد الشعب الفلسطيني، ممّا جعل صوت الشاعر يعلو في خطابه للاجئ الفلسطيني، حتى لا ينسى حقه المسلوب، كما في قوله في قصيدة (أخي)<sup>(١)</sup>:

أخي إن شردوك اليوم عن أرض وعن سكن

وإن جاؤوك "بالخبز" لكي يلهوك بالمنن

فهذا الخبز أقساط تُعوّضها عن الوطن

وهو خطاب لا يخلو من التحريض على المقاومة، ممّا يعني أن خليل زقطان أدرك منذ البداية أن عودة اللاجئ إلى وطنه يشكل حياة له، وهو مضمون فكري راسخ في شعر النكبة، يعكس التزام الشاعر بقضايا وطنه، "من هنا كان الالتزام مرتبطاً بالعقيدة، منبثقاً من شدة الإيمان بها، صادراً في جميع أشكاله، وأحواله عن أيولوجية معينة، يدين بها المفكر الملتزم"<sup>(٢)</sup>.

## ٢. الخيمة

تستدعي صورة اللاجئ في شعر خليل زقطان الحديث عن صورة الخيمة الملازمة لمأسوية المشهد، التي تكشف عن عري الواقع العربي، وعجزه الواضح، لذلك فإنّ "خيام اللاجئين - على ما فيها من ألوان العذاب - ستكون الشعلة المضيئة، لاستنهاض العزائم، وإثارة الهمم، والتذكير بالضحايا"<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ٢٣.

(٢) أبو حاقّة، ١٩٧٩م، ص ص ١٣ - ١٤.

(٣) عليان، ١٩٨٧م، ص ٧٩.

لقد استحالت خيام اللاجئين الفلسطينيين في الشعر العربي "إلى رموز للقيود، شيدها البغي، فلا تحوي إلا العذاب، وتتغير الصورة من شاعر إلى شاعر، ولكن الرمز يبقى مجرداً مهولاً، كأنه شبح الخطيئة، أو جمجمة الموت"<sup>(١)</sup>.

إنّ انتقال الفلسطينيين من رغد العيش الذي عاشوه في مدنهم، وقراهم، إلى العيش في خيام واهية، أصابهم بحالة من الذهول، والصدمة النفسية، التي عبّر عنها الشعر أصدق تعبير، لذلك نجد الشاعر خليل زقطان يُكرّر من تكرار كلمة (الخيام) في شعره؛ "للتأكيد حضورها القاتم في حياة الشعب الفلسطيني من جهة، ودعوتها للثورة على واقعها الإنساني من جهة أخرى"<sup>(٢)</sup>. فقد أدرك الشاعر منذ حدوث النكبة أن عالم الخيام أصبح جزءاً من هويته الوطنية، ومرحلة مهمة من مراحل النضال الطويل، لذلك جاء ترحيبه برئيس منظمة التحرير الفلسطينية أحمد الشقيري في أحد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين عند إعلان دولة الكيان الغاصب؛ ليكشف عن طبيعة الحياة الجديدة في الخيام، حيث يقول<sup>(٣)</sup>:

أهلاً بأحمد في الخيام وفي الكهوف وفي المغاورُ

أهلاً به بين الجراح وبين زمجرة المقابرُ

بين الجباة الصامدين برغم أنّ الجوع كافرُ

أهلاً أخي في الجرح في الآمال في الدم في المشاعرُ

فالكهوف، والمغاور، والمقابر، هي أمكنة مرادفة لعالم الخيمة، بما يسودها من أنين الجباة، ممّا يُبرز واقعية المشهد، ورغبة الشاعر في استنارة الحكام العرب، وبعث زمن التحرير من جديد.

ومعاناة الخيام التي يحيها الفلسطينيون مدعاة للتأمل بالمأساة الفلسطينية، فالخيام تتجاوز وظيفتها السكنية إلى احتلالها بعداً إنسانياً وسياسياً واضحاً، يشهد على اضطهاد شعب، واستلاب حريته، كما في قوله في قصيدة (الخطة الوحشية)<sup>(٤)</sup>:

يا أمة الشهداء حسبك ساسة ما حلّ خطبُ فيك إلا أبرقوا

غُضوا العيونَ فهذه أشلاؤنا وإذا مررتم بالخيام فأطرقوا

يا أمّتي أو يا بقايا أمّتي إن الزعامة أهلها قد أخفقوا

(١) فهمي، ١٩٧٠م، ص ٩٤.

(٢) موسى، ٢٠٠٩م، ص ٣٢.

(٣) زقطان، ١٩٩٥م، ص ٤٥.

(٤) زقطان، ١٩٥٣م، ص ١٦.

وهذا شأن الخيمة في الشعر الفلسطيني المقاوم، أعظم من الواقع العربي المتهاك، وأكثر فاعلية في التحرر، مما جعلها جزءاً من ملحمة خلود، ومعاناة طويلة، عاشها الفلسطينيون، تسردها الأجيال في سفر البطولة، والفداء، لتشهد على ذكريات الألم، والضياع، كما في قوله<sup>(١)</sup>:

لي والخيامُ حكايةٌ لا تتطوي إلا لينشرها الشفاء ملاحماً  
ألقيتها؟ فوق الرصيفِ فإيتها أمي تُسائلُ ذاهباً أو قادماً

ويجعل الشاعر من الخيام مصدر عزة، وفخر، بوصفها رمزاً للصدوم، وذلك في سياق نقد لاذع للأمة المتخاذلة، كما في قصيدة (ياشعب) التي يُخاطب فيها الشعب الفلسطيني<sup>(٢)</sup>:

يكفيك أن لك الخيام تؤمها ولهم قصور بالطلاء تزخرف  
يكفيك حذب المجرمين وعطفهم هلا سمعت بمجرم يتعطف؟!!

فالخيام بعذاب ساكنيتها مقابل مرير لحياة القصور، وثراء المترفين الذين لا يقلون ذنباً عن المعتدين في قسوة قلوبهم، وبعدهم عن معاناة اللاجئين بكل أبعادها الإنسانية، إذ تبقى الخيمة في شعر خليل زقطان رمزاً حاضراً للمعاناة، ممّا جعلها تكتسب صفة الرمز العام الذي يستقيه الشاعر من واقعه؛ ليكسبه بعداً خاصاً، يتفق مع رؤيته الفكرية، القائمة على إبراز تضحيات الفلسطينيين، كما في قوله في قصيدة (من جديد)<sup>(٣)</sup>:

أنا التحدي.. فشكراً يا مصائبهم فكم تعلمتُ منها كيف تخدمني  
وغارةُ الغد لن تعطي طليقها ليغيرنا نحن أولى العرب بالثمن  
بالتضحيات ومن أحرى بصاحبها؟! حسب العروبة دوراً أن تُساندني  
وألفُ عذر لبيتي إذ أدمره على الذي في خيام الذل يصلبني

ففاعل الصلب يتم في خيام الذل، ممّا يُضاعف من حجم المعاناة، ويعكس مأسوية عالم الخيام، إذ يعدّ الصلب من رموز المعاناة في الشعر العربي المعاصر، لذلك أسقط الشعراء "كلّ الألام التي يتحملها الشاعر المعاصر، والإنسان المعاصر عموماً، سواء أكانت تلك الألام مادية أم معنوية"<sup>(٤)</sup>.

ويوظف الشاعر فكرة البعث، والنشور توظيفاً جديداً، ينسجم مع التجربة المعاصرة، فيجعل من خيام اللاجئين الفلسطينيين قبوراً، تنبعث منها ثورة عارمة، كما في قصيدة (من جديد) التي

(١) زقطان، ١٩٩٥م، ص ١٤

(٢) زقطان، ١٩٥٣م، ص ١٨

(٣) زقطان، ١٩٩٥م، ص ٥٣

(٤) زايد، ١٩٧٨م، ص ١٠٤

يُعارض فيها قصيدة الشاعر اسكندر الخوري (من بعيد) ويندد بسياسة الغرب الظالمة مطالباً شعوب الشرق بعدم الخضوع، والاستسلام لهذا الظلم، حيث يقول<sup>(١)</sup>:

أخي! ما عالم " الخيمات " إلا مصانع بعثنا بعد الرقود  
قبوراً قد أرادوها ... ولكن أحلناها قبوراً للجمود  
زئير البائسين بها يدوي كأعصار الطبيعة والرعود

لذلك فإنّ الخيمة في شعر خليل زقطان "رمزٌ لتحطيم القيود، وهي بركان لا بدّ أن ينفجر"<sup>(٢)</sup>، ممّا يُظهر لغة الشاعر الانفعالية، التي أوقعته في النثرية، والمباشرة، إذ "إنّ عنصر الإبداع في الصورة التي هي من أبرز مقومات الشعر كان ضئيلاً في القصيدة القومية الحديثة بالإجمال"<sup>(٣)</sup>.

### ٣. الحزن

يعدّ الحزن أحد الظواهر الشائعة في قصائد كثير من الشعراء العرب في العصر الحديث؛ لمناسبته لطبيعة الظرف الحضاري الذي تمرّ به الأمة، وغلبة الهزائم عليها، ممّا جعل ظاهرة الحزن تمتلك قيمة تعبيرية واضحة، "أضافت إلى التجربة الشعرية بعامة آفاقاً جديدة، زادت ثراءً، وخصباً"<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان الحزن سمة عامة في الشعر العربي الحديث، فإنّه في الشعر الفلسطيني أكثر وضوحاً، ولا عجب أن ينشج هذا الشعر بالحزن، بعدما عاش الشعراء معاناة التشرد، والدمار.

ولمّا كان ديوان الشاعر(صوت الجياح) ردة فعل مباشرة للوجدان الشعري النائر بعد النكبة، فإنّ مفردات الحزن، جاءت مهيمنة على قصائده، كما في قول الشاعر<sup>(٥)</sup>:

ويا شعب هذا كتاب الدماء وسفر كوارثك الصادعة  
وهذي جراحك تشكو الأساة وتنعى فلسطيننا الضائعة  
وكم خلف الغدر من لا أب يُعيل ومعدته جائعة  
وثائق في قبضة اللاجئين تُدان بها الأنفس الطامعة

(١) زقطان، ١٩٥٣م، ص ٥٩.

(٢) البلاصي، ٢٠٠٩م، ص ٦١.

(٣) الدقاق، ١٩٧٨م، ص ١٦٦.

(٤) إسماعيل، ١٩٨١م، ص ٣٧٢.

(٥) زقطان، ١٩٥٣م، ص ٩٠.

فأحزان الشاعر ليست فردية، أو ذات طبيعة تأملية، أو نابغة من فلسفة حياتية، بل هي جماعية المنبع، يحيها شعب بأسره، مما جعل منها مكوناً فكرياً، يمدّ الشاعر بالبوح الصادق لوجدان شعري ملتهب.

لذلك جاء خطاب الشاعر متوجّحاً بملاحم الأسى التي ينظمها الفلسطينيون ترسيخاً لهويتهم الوطنية، ورغبتهم في التحرر، كما في قصيدة (إصرار) التي يتحدّى فيها الشاعر المحتلّ، ويفضح جرائمه البشعة بحق الشعب الفلسطيني، وسياسته في تهويد أرضهم، وطمس هويتهم العربية، إذ يبرز الشاعر في هذه القصيدة سلاح المقاومة بوصفه وسيلة التحرير الوحيدة، حيث يقول<sup>(١)</sup>:

سمني العذاب فما عهدتك راحماً      وألنّ خداعك سوف تلقى ناقماً  
أدمي يسيل على يديك وموطني      قد راح ينظم من أساه ملاحماً!  
وتريد تطمس بالتظاهر بالأسى      أثر الجريمة أو تزيل معالمها

ولعلّ حركيّة الزمن واضحة في استخدام الأفعال المضارعة (يسيل، ينظم، يطمس، تزيل) التي تعمق بشاعة فعل المحتلّ، وتعكس قسوة المعاناة، فضلاً عن دورها في دفع النص إلى دائرة الفعل الملحمي، واستدعاء ذكريات الألم، والمعاناة التي يختزنها الوجدان الفلسطيني في داخله.

ويؤسس الشاعر منذ مرحلة مبكرة من مسيرة النضال الفلسطيني لما يُسمى بشعريّة الحزن المنبعث من معاناة قاسية، ألهمت وجدان الشاعر، وأمدّته بخيال خصب، فكانت مفردات الحزن التي صاغها الشاعر في بناء نصي، يعكس هذه المعاناة، كما في قصيدته (أخي) التي تعكس صوتاً حزيناً، يئنّ بمعاناة اللاجئين الفلسطينيين في الخيام، ورفضهم للمساعدات القليلة التي يقدمها المجتمع الدولي لهم، حيث يقول<sup>(٢)</sup>:

أخي يا مَنْ خليفته      على البلوات معواني  
سمعتك منشداً بالأمس      شعر المدنف العاني  
فأشجاني الذي أشجأك      فاستلهمت شيطاني  
وجئت موقعاً شعري      على قيثار أحزاني

ولعلّ استخدام الشاعر لألفاظ معبرة، وإقحامها بشكل تنافري في تراكيب النص اللغوية، أسهم في نقل الحزن من صورته المعنوية إلى إبرازه في صورة مادية ملموسة، وما توظيف الشاعر لجملة (قيثار أحزاني) إلا تشكيل حزين للصورة الشعريّة بكافة أبعادها: الزمانية،

(١) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥.

والمكانية، والنفسية، التي تنهي حالة الصمت المطبق الذي يحياه الفلسطينيون، وتنقل معاناتهم إلى أرجاء العالم.

وإذا كان العيد مصدر بهجة وسرور عند كثير من الناس، فإنه في شعر خليل زقطان باعث على الحزن، ومدعاة للألم، يعمل على إثارة مشاعر الأسي، بعدما أضحى موتاً مقيماً، يحياه الشاعر في الخيام، يُعاند ما تحتفظ به الذاكرة من معاني العيد السامية، حيث يقول في قصيدة (في العيد)<sup>(١)</sup>:

في العيد قلّ ما شئت عن حرمانه      وشقاء واقعه وعن أحزانه  
وعن الخيام وكلّ كهف مظلم      كالقبر منطوياً على سكانه  
وعن الحسان وقد هجرن معاقلاً      للطهر ما شئدت لغير حسانه  
وعن الصغار يرددون لجوعهم      منّ يطعم اليوساء من إحسانه؟؟  
وعن المشرّد حين يأتي ربه      فيرده الحكام عن إتيانه

إذ تبدو أحزان الشاعر أكثر تدفقاً، وقدرة على تصوير حياة اللاجئين، وبخاصة عندما يقترن الحرمان من بهجة العيد بذكريات الأيام الخوالي التي عاشها اللاجئون في وطنهم.

ويوظف الشاعر أسلوب الاستفهام؛ للدلالة على الحسرة، والألم، وبيان حرصه على نهضة الأمة، متأثراً في هذا التوظيف بالنزعة الرومانسية<sup>(٢)</sup>.

والمتمأمل لأسلوب الاستفهام في شعر خليل زقطان، يجد أنه يأتي في سياق لحن جنائزي حزين، يغلب عليه التفجع، والدهشة لما يحدث لأبناء شعبه من ظلم، وتشريد، كما في قوله<sup>(٣)</sup>:

سَخَر العدو وقد رأى لجيوشكم      صفة الذي في الرزء جاء يصفق  
ألنا التكالى والأيامي والطوى      وله الحياة بصفوها تترقق  
ألنا الخيام الباليات نؤمها      وله القصور الشاهقات تنمق؟!  
ألنا التشرّد والتباعد والقلى      ولديه أرقام التجمع تنطق؟!  
ألنا الضحايا المهدرات دماؤها      في مذبح الأطماع ظلماً تُهرق؟!  
ألنا الخدور المحصنات تهتك      ما بالكم لضياعها لم تطرقوا!؟

(١) المصدر نفسه، ص ٧١.

(٢) يُنظر أبو العزم، ١٩٨١م، ص ٤٢٩.

(٣) زقطان، ١٩٥٣م، ص ص ٤١ - ٤٢.

فقد جاء الاستفهام الاستنكاري تعبيراً واضحاً عن رفض الشاعر للواقع، وذلك بلغة غاضبة فيها من التعنيف، والتأنيب للحكام العرب المتخاذلين ما يكفي لبث أحزانه، والكشف عن شدة المعاناة. ويتخلّى الشاعر في أحزانه عن البكاء الذي صاحب قصيدة الرثاء القديمة، بعدما أجمع الناس على "أن البكاء يطفئ الغليل، ويبرد حرارة المحزون، ويزيل شدة الوجد"<sup>(١)</sup>.

فأحزان الفلسطينيين قابعة في الصدور، تروبها دماء الضحايا، وآلام المكالمين، كما في قوله متوعداً العدو بالهزيمة في قصيدة (يوم الشعوب) التي يصوّر فيها غضب الشعوب المظلومة، ورغبتها في مقاومة ظالمها، ممّا جعل صوت الجياح أكثر ظهوراً بوصفه ممثلاً لمعاناة الفلسطينيين، وأحزانهم العميقة<sup>(٢)</sup>:

يا مجرماً قهقهت يوم رزيئة أبكته سوف على نيوبك تفرع  
فالشعب بعد الجرح أصبح عالماً إن البكاء لدائه لا ينفع  
وأشد أنواع البكاء مرارة وعضاضة في النفس ما لا يدمع  
والنفس إن حبست دموع مصابها سيحول يوماً جامحاً لا يُدفع

إذ قدّم الشاعر رؤية جديدة للحزن، تقوم على الفداء، والتضحية، لا البكاء، والعويل، لتتناسب هذه الرؤية مع طبيعة المرحلة المعاصرة.

وتبلغ أحزان الشاعر حدّاً من الانكسار، أفقده القدرة على التواصل مع الآخرين، وجعله حبيس معاناة جماعية، كما في قوله مخاطباً ابنته التي طلبت منه العودة إلى قريته في فلسطين، حيث يقول<sup>(٣)</sup>:

ماذا عليّ .. وأوطاني ممزقة والأهل أشلاء في الدنيا بلا سكن  
.. بلا لقاء.. بلا نادٍ وسامرُها في التيه أنه تكلّى أو لظى شجن

إنّ قيمة هذا الحزن، تنبع من مضمونه الفكري، وبعده الإنساني النابع من معاناة المعذبين، فضلاً عن تجاوزه لحالة الانهزام المعاصرة إلى تكريس حزن عام، ينبض بالرغبة في التحرير. وفي قصيدة (غريب) تتكاثف أحزان الشاعر عند زيارته الأولى لمسقط رأسه بلدة (زكريا) بعدما أصبح أسيراً لذكريات الطفولة، وأنغامها العذبة، ممّا أورثه أسى، وحنيناً للوطن، حيث يقول<sup>(٤)</sup>:

هنا ليمونتي تغفو.. وثمّ التينة الهرمة  
وملعبٌ إخوتي وصيبي محمولاً على القمة

(١) العسكري، ١٩٨٤م، ص ١٤١.

(٢) زقطان، ١٩٥٣م، ص ٧٤.

(٣) زقطان، ١٩٩٥م، ص ٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٨.

وعند العين بكرُ هواي.. بكرُ الشعر والنغمة  
 وببدرنا خوابي القمح كم تشكو من التخمة  
 وأنزفُ ذكرياتِ الأمس جرحاً فاغر النقمة  
 ويبقى الصمتُ... يبقى الليلُ، تبقى الصورةُ الجهمه

إذ يضيف الشاعر على الطبيعة مظهراً إنسانياً، جعلها تشاركه أحزانه؛ فالليمونة تغفو، والتينة تهرم، والبيدر يشكو التخمة، ممّا سمح بحدوث بعض الانزياحات اللغوية المعبرة عن المعنى، إذ قامت الطبيعة مقام الشاعر في رسم حالة الحزن، والسكون التي يحياها، وبخاصة عندما تزامنت في داخله ذكريات الماضي الجميل التي جعلت أحزانه دائمة التدفق.

#### ٤. الثورة

وهي مضمون شعري دائم الاتصال بالمعاناة، بل هي ردة فعل مباشرة لها، ونتيجة حتمية لبؤس، وشقاء عاشه اللاجئون في مفاهم القسري، وهي من جانب إنساني ثورة اجتماعية على الفقر، وطول الحرمان، ومرارة الجوع الذي عبّرت عنه قصائد (صوت الجياح).

إنّ خليل زقطان في معظم قصائده "يتميّز عن غيره بأنّه في هذه المرحلة، يستعمل الألم كدافع طبيعي للمخرج النضالي"<sup>(١)</sup>، فتورة الجياح التي يُبرزها الشاعر في ديوانه (صوت الجياح) هي جزء من ثورة شاملة لشعب مضطهد، فقدّ الأهل، والأرض، ممّا أورثه حقداً متنامياً على عدو طامع، ومستغل لا يرحم، وزاده تحدياً، وصموداً، فكان خطابه لفجر العبيد، كما في قصيدة (صوت الجياح) التي يلح فيها الشاعر على تصوير مظاهر البؤس، والفقر في مخيمات اللاجئين، وينطق بها باسم الجياح ليس ضد العدو فحسب، وإنما ضد المستغلين؛ لينذرهم بثورة قادمة، حيث يقول<sup>(٢)</sup>:

ها صوت حرمانني يضاعف نغمتي ويزيد حقدي  
 ها فجري الزاهي يلح بأن أثور على التحدي  
 فجر العبيد! بزغت فاحمل في ركابك كلّ عبد

وما (صوت الحرمان) الذي يجوب الأفاق إلا جزء من معاناة الفلسطينيين التي تجعل من الثورة سبيلاً للتحرير، والعيش بكرامة بعيداً عن ظلم المحتلّ. لذلك جاء القسم بمعاناة الجياح، والمشردين صارخاً للقيام بثورة مدوية، تستأصل المعتدي، وتحرّض على الزعماء الخاضعين للغرب، لتغيّر وجه الواقع، كما في قوله في قصيدته (صور)<sup>(٣)</sup>:

(١) البلاصي، ٢٠٠٩م، ص ص ٤٠ - ٤١.

(٢) زقطان، ١٩٥٣م، ص ١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣.

ناد العروبة عليها تصحو على صور الفواجع  
 صور الزعامة كيف يلهيها عن الشعب التنازع  
 صور لأصنام غدا كلّ بأمر "الغرب" صادع  
 قسماً بكلّ مشرد وبكلّ جائعة وجائع  
 لنثيرها شعواء تسحق كلّ ما سموه "واقع"

وهذا يؤكد أهمية المثير في التجربة الشعريّة، وقدرة الشاعر على صياغة انفعالاته في قالب فني، تتفجّر من خلاله الدلالة؛ لتصبح أكثر قدرة على حمل معاناة مبدعها، ممّا جعل انفعال الشاعر حاداً، ومريراً، وهي سمة ملازمة للشعر الفلسطيني الذي أعقب النكبة عام (١٩٤٨م).

ويبقى اللون الأحمر من أكثر الألوان توظيفاً في شعر خليل زقطان؛ لارتباطه بالتضحية، وفعل الشهادة الذي يقود إلى التحرير، وهو لون يمتلك من الثراء الفكري ما جعله مناسباً لشعريّة المعاناة في قصائد الشاعر، وذلك لتعدد دلالات هذا اللون "نتيجة لارتباطه بأشياء طبيعية، بعضها يُثير البهجة، والانتسراح، وبعضها يُثير الألم، والانتقاض"<sup>(١)</sup>.

ولعلّ التعبير عن الألم هو غاية الشاعر في توظيفه للون الأحمر، كما في قوله في قصيدة (الوطن الغالي)<sup>(٢)</sup>:

أيزهب الوطن الغالي ويقعدنا عنه التناحر في جاه وسلطان؟!  
 أيزهب الوطن الغالي وننشده في هيئة ألفت من كلّ شيطان؟  
 أنسأل الحقّ في ذلّ ومسكنة؟! والحقّ مطلبه بالأحمر القاني  
 هذا سبيلك نحو المجد فاسع له بالنار والدم في عزم وإيمان

فاللون الأحمر، هو لون الثورة، يشتعل معها، ويسمو بها، فضلاً عن مناسبتها لروح الشاعر المتمردة، وقدرته على تصوير طاقات النفس المتفجرة، وإيحاءاتها الشجيرة.

وممّا يرتبط بالثورة في شعر خليل زقطان موروث عربي قديم، هو الثأر الذي لا يكون إلا لظلم وقع، أو عدوان قائم، إذ ارتبط الثأر في الوجدان العربي بالرغبة في إنزال الجاني منزلة المعتدى عليه، وهذا لا يتأتى إلا بثورة قوية، كما في قوله في قصيدة (صوت النفير)<sup>(٣)</sup>:

نحن منّ سوف يرفعون الأمانى شامخات الصروح كالأطواد  
 ثورة الحرّ قوة لا تُجارى في صراع الردى ويوم الطراد

(١) عمر، ١٩٩٧م، ص ٢١١.

(٢) زقطان، ١٩٥٣م، ص ٦٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣١.

من معين الإيمان تنهل والثأر وتغلي على لظى الأحقاد  
صاعقات تقض سمع الليالي وزنود تفلّ عزم العوادي  
فاكتبي يا حياة تاريخ قوم صنعه من الدم الوقاد

ومن الملاحظ غلبة الحماس، والأمل على تراكيب الشاعر اللغوية، إذ تبقى عاطفة الكره "مُتقدّة في صدور اللاجئين على الذين اقترفوا جريمة تشريدهم، والذين اغتصبوا وطنهم، وعزم اللاجئين المصمم على أن يثأروا لشهدهم الأبرار"<sup>(١)</sup>.

لذلك فإن الثأر أصبح دافعاً للثورة على الصعيد الجماعي، ممّا جعله خيار أمة مضطهدة، كما في قوله في قصيدة (يوم الشعوب)<sup>(٢)</sup>:

بلغ الزبي سيل الكوارث وانقضى عهد المنابر واستراح المصقع  
وتمخضت دنيا الشعوب فأنجبت جيلاً أبيعاً ثائراً لا يُخدع  
وشعاره أن ليس من مستعبد ينهى ويأمر في الشعوب ويخضع  
ويرى السعادة حق كلّ مواطن رأيت جيل الثأر كيف يشرع؟

وهذا ما سعى الشاعر الفلسطيني المقاوم إلى ترسيخه في الأذهان، بعدما أفرز احتلال الأرض جيلاً ثائراً لا يهادن، ينشد الحرية، والأمان.

وممّا يتصل بالمعاناة في شعر خليل زقطان موقفه من الغرب، كذلك موقفه من الحكام العرب، وهما موقفان سبق خليل زقطان إليهما الشاعر عبدالكريم الكرمي (١٩١٠ - ١٩٨٠)، إذ هاجم شعر النكبة الغرب بضرارة؛ - بوصفه أهم عوامل المعاناة القائمة - وفضح نفاقه، وخداعه للعرب.

ومهاجمة الغرب سمة ملازمة لشعر النكبة، ظهرت بدايتها في الشعر الفلسطيني منذ وعد بلفور عام ١٩١٧م، كما في شعر إبراهيم طوقان، وتعمّقت في السنوات الأولى لنكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، ممّا أوجد شعراً مشبعاً بالألم، واللوعة، والكرهية للغرب الظالم<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما عبّر عنه خليل زقطان في قصيدة (الخطّة الوحشية) التي هاجم فيها خطط الغرب لتقسيم فلسطين، وقرّع الحكام العرب الذين أسهموا في تطبيقها، حيث يقول<sup>(٤)</sup>:

هي خطّة وحشية لا تُرفقُ " الغربُ" واضِعُها وقومُك طبّقوا

(١) السوافيري، ١٩٦٣م، ص ٥٩٣.

(٢) زقطان، ١٩٥٣م، ص ٧٣.

(٣) يُنظر، الأشتري، ١٩٦٠م، ص ١٨.

(٤) زقطان، ١٩٥٣م، ص ١٦.

هي نكبة رقصت على أشلائها كف المطامع وانبرت تتصدق  
 هذي الأكف غدت لنا معروفة كف مصافحة وأخرى تخنق  
 برع " الحليف" بفنه فمدمراً حيناً وحيناً أسياً يترفق

إن لغة السخط على الغرب، والتنديد بالحكام العرب، جعل الثورة أكثر انبثاقاً "من قلب الخيمة، ومن ليل المنفين.. وهو أشبه ما يكون بتلاقي الأضداد عند أقصى نهاياتها، فتكون بدايات خلق جديد" (٥٤١).

### الخاتمة

إن أهم ما يميز شعر خليل زقطان أنه شعر مؤسس في مضامين الشعر الفلسطيني المعاصر، وقضايا الفكرية؛ لطبيعة مرحلته الزمنية، وانبثاقه من رحم نكبة فلسطين عام (١٩٤٨م) بعدما تناول في شعره قضية اللاجئين، ودلالاتها النفسية، مما أغنى الجانب الانفعالي في هذا الشعر، وجعله محملاً بمضامين الثأر، والتحدي، والحنين للوطن المحتل.

لقد استطاعت تجربة الشاعر أن تؤرخ شعرياً لمعاناة الإنسان الفلسطيني، ورغبته في التحرر، فهي تحمل في مضامينها صوتاً نضالياً محملاً بحرمان الفلسطينيين الطويل، وألمهم المستمر، إذ تصوّر قصائد الشاعر الواقع المرير الذي يحياه الفلسطينيون متجاوزة الرؤيا الشعرية إلى بيان معاناة اللاجئين الفلسطينيين بعبارات يشيع فيها الحزن، ويغلب عليها الجانب الثوري، وبخاصة أن الشاعر أحد الذين عاشوا معاناة النكبة في المخيمات، وشهدوا ويلاتها، مما جعل من شعره صرخة احتجاج ضد المؤامرات التي تعرضت لها فلسطين، وما رافق ذلك من بؤس، وحرمان مازال الشعب الفلسطيني يعاني منه حتى وقتنا المعاصر.

لقد جمع شعر خليل زقطان بين البكاء، والرجاء، فهو يعكس في أعماقه ثورة متأججة في قلوب الفلسطينيين، نتيجة احتلال وطنهم، واستمرار معاناتهم، وهي ثورة ليست سلبية، غايتها الهدم، وإنما ثورة إيجابية، غايتها الحرية، مما أظهر نزعة الشاعر الإنسانية، وميله إلى الحياة الكريمة، لذلك فإن الرسالة القومية واضحة في شعر خليل زقطان، تجلت في مهاجمة الغرب المستعمر، وتقريع الحكام العرب الذين تخاذلوا في الدفاع عن فلسطين.

(١) محمود، د-ت، ص ٤٧.

### References and (Arabic & English)

- Abu el-Azm, Tala't. *The Romantic Vision of the Human Destiny from the Viewpoint of the Modern Arab Poets*. The Public Egyptian Book Organization.
- Abu Esba', Saleh. (2009). *The Poetic Movement in Palestine from 1948 to 1985*. Amman, Jordan, Philadelphia University Publications.
- Abu Hagah, Ahmad. (1979). *Commitment in Modern Arabic Poetry*. Beirut, Lebanon, Science Press.
- Abu Shawar Sa'di. (2003). *The Evolution of the National Trend in Contemporary Palestinian Poetry*. Beirut, Lebanon, Arab Association for Studies and Research.
- Aristotle. (1953). *The Poetics*. Trans. abed Arrahman Badawi. . Cairo, Egypt, Egyptian Renaissance Press.
- Asad, Nasireddin. (1957). *Modern literary Trends in Jordan and Palestine*. Institute of Higher Arab Studies (Arab League) Cairo, Egypt.
- Ashgar, Saleh. (1961). *The Impact of the Palestine Catastrophe on Modern Arabic Poetry*. Damascus, Syria, Damascus University Press.
- \_\_\_\_\_. (1960). *The poetry of the Catastrophe of Palestine*. Damascus, Syria, Damascus University Press.
- Ashri Ali, Zayed. (1978). *The Folkloric Characters in Modern Arabic Poetry*. Tripoli, Lebanon, Publications of the General Company for Distribution and Advertising.
- Askari, Abu Hilal. (1984). *The Two Crafts: Prose and Poetry*. Beirut, Lebanon, Scientific Book Press.
- Atwat, Mohammad. (1998). *The National Trends in Contemporary Palestinian Poetry from 1918 to 1968*. Beirut Lebanon, New Afag Press.

- Balasi, Ahmad. (2009). *Alienation and Nostalgia in Modern Palestinian Poetry*. Amman, Jordan, treasury of Scientific Knowledge Press.
- Dagag, Omar. (1978). *Criticism of National Poetry*. Damascus, Syria, Arab Writers Union.
- Draw, Elizabeth. (1961). *How to Appreciate and Interpret Poetry*. Trans. Mohammad Ibrahim el-Shush. Beirut, Lebanon. Mneimneh Library.
- E'lyyan, Mohammad Shehadah. (1987). *The Social Facet in the Modern Palestinian Poetry*. Amman, Jordan, Dar el-Fikr for Distribution and Publication.
- Fahmi, Mahir Hassan. (1970). *Alienation and Nostalgia in Modern Arabic Poetry*. Cairo, Egypt, Arab Institute for Studies and Research.
- Hosni, Mahmoud. *The Role and Status of the Palestinian Resistance Poetry*. Palestinian Cultural and Literary Library.
- Hussein, Khalid. (2007). *The Para text Theory: An adventure in the threshold of interpretation*. Damascus, Syria Genesis Press.
- Ismael, Izziddin. (1981). *Modern Arabic Poetry (Artistic and Spiritualistic Issues, and Phenomena)*. Beirut, Lebanon, Dar Oudeh.
- Khalil, Ibrahim, et. al. (2001). *Jordanian Literati Onomastics*. Amman, Jordan, Ministry of Culture Publications.
- Khalili, Ali. (2002). *Selected Palestinian poetry*. Amman, Jordan. Amman Municipality Publications.
- Kiali, Abed Arrahman. (1975). *The Palestinian Verse on the Palestinian Catastrophe*. Beirut Lebanon, Arab Establishment for Publication and Distribution.
- Majali, Jihad. (2008). *Studies on the Artistic Virtuosity in poetry: the Viewpoints of the Arab Critics in the Light of Literary Psychology and Modern Criticism*. Amman, Jordan, Java Press for Distribution and Publication.

- Musa, Ibrahim Nimr. (2009). *Revolution and Homeland in Kamal Nasir's Poetry*. Dirasat Journal. Vol. 36. 1<sup>st</sup> Ed.
- Mustafa, Khalid Ali. (1978). *Contemporary Palestinian Poetry 1948-1970*. Baghdad, Iraq, Publications of the Ministry of Culture and Arts.
- Omar, Ahmad Mukhtar. (1997). *Language and Colour*. Cairo, Egypt, World of Books Press.
- Sadouq, Radi. (2000). *The Palestinian Poets in the Twentieth Century*. Beirut, Lebanon, Arab Association for Studies and Research.
- Sawafiri, Kamil. (1973). *The Artistic Trends in Contemporary Palestinian Poetry*. Cairo, Egypt, The Anglo-Egyptian Library.
- \_\_\_\_\_. (1963). *Modern Arabic Verse on the Palestinian Catastrophe from 1917 to 1955*. Cairo, Egypt, Egyptian Renaissance Press
- Tamimi, Husam. (2001). *The Image of the Palestinian Refugee in Modern Palestinian Poetry (1967-1990)*. Hebron, Palestine, Anqa' Cultural Press.
- Zaqtan, Khalil. (1995). *The unpublished poetic Works*. Amman, Jordan, Karmil for Publication and Distribution.
- \_\_\_\_\_. (1953). *The Voice of the Famished*. Jerusalem, Palestine, Islamic Orphanage Library.